نبوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
في إنجيل برنابا

الأستاذ الدكتور
رشيد كهوس
جامعة القرويين/ المغرب

الملخص :

يهدف البحث الى عرض ما جاء في إنجيل برنابا عن ذكر نبوة رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) حيث كان هذا الإنجيل يقرأ ويدرس إلى أواسط القرن الخامس الميلادي . وفي القرن الخامس حرم البطريرك جليسيوس قراءته وأمر بإعدام ناسخه ثم عثر على نسخة منه ،في القرن السادس عشر الميلادي القس الكبير ((فرامربنو)) الذي وجده في مكتبة البطريرك سكتس بطريرك روما . فظهر له بعد مطالعته ان فيه اخبارا" عن خاتم الأنبياء – ذكر اسمه ((احمد)) فاخرج فرامربنو، هذا الإنجيل من مكتبة البابا وأعلن إسلامه ونقله إلى العربية رشيد رضا في مصر.

The prophecy of Allah Messenger Mohammed

(God's blessing and peace be upon him) in Birnabu Bible

Prof. Dr. Rachid Khahoose

AlQuraween university/ morocco

This research aims to reveal the indication of Allah messenger Mohammed (God's blessing and peace be upon him) in Birnab bible. This bible was read and taught up to the mide of the fifth century.

And in the fif th century, the patriarch ((Gelesiose prohibited reading this bible and ordered to execute the one who copyed it . then In the sixteenth century, ucopy of this bible was found by the priest Framerino in the library of romes patriarch skins After reading the bible, he knew clear information about the last propht and his name is Ahmed so Framerino took out this bible from the pope library and annouuced his becoming muslim. This bible was translated to Arabic by Rachid Ridduh in Egypt.

كان إنجيل برنابا مخطوطا فعاد ذكره إلى الوجود سنة ١٧٠٩ بعد أن زال التعصب الديني في أوروبا، وفقدت الكنيسة السيطرة المطلقة التي كانت قد استحوذت عليها في القرون الوسطى، وتناقلت الأيدي هذه المخطوطة إلى أن قام نائب المطران (لو نسدال راغ) بترجمته إلى اللغة الإنجليزية في عام ١٩٠٧ ومن هذه الترجمة قام المؤرخ (الدكتور خليل سعادة) بترجمته إلى العربية وقام بنشره (السيد محمد رشيد رضا) .

هذا المخطوط هو النسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم وهي النسخة الإيطالية وهي التي نقل عنها هذا الإنجيل .

يقول المستشرق الشهير سايل : "أن مكتشف النسخة الإيطالية لإنجيل برنابا هو راهب لاتيني يسمى (فرا مربنو) ، ومن جملة ما قال : إن هذا الراهب عثر على رسائل لأحد القساوسة وفي عدادها رسالة تندد بالقديس بولص ، وإن هذا القسيس أسند تنديده إلى إنجيل القديس برنابا ، فأصبح الراهب المشار إليه من ذلك الحين شديد الشغف بالعثور على هذا الإنجيل ، واتفق أنه أصبح حينا من الدهر مقربا من البابا (سكتس الخامس) فحدث يوما أنهما دخلا معا مكتبة البابا فأخذ النوم هذا البابا ، فأحب الراهب مرينو أن يقتل الوقت بالمطالعة إلى أن يفيق البابا ، فكان الكتاب الأول الذي وضع يده عليه هو إنجيل القديس برنابا نفسه ، فكاد أن يطير فرحا من هذا الاكتشاف فخبأ هذا الإنجيل في أحد ردني ثوبه ، ولبث إلى أن استفاق البابا فاستأذنه بالإنصراف حاملا ذاك الكنز معه، فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم فاعتنق على إثر ذلك الإسلام" اهـ .

وبعد هذا الاكتشاف شاع خبر (إنجيل برنابا) في فجر القرن الثامن عشر فأحدث دويا عظيما عند النصارى وأجمعوا أمرهم على محاربته وتكذيبه وعدم نشره وتم لهم ذلك، بل إن هذا العداء توارثته أجيال النصارى جيلا بعد جيل ، وفي زماننا هذا لا توجد طائفة من النصارى في العالم كله شرقا وغربا تؤمن (بإنجيل برنابا) ، بل أقام أساقفة النصارى بتصنيف الردود على (إنجيل برنابا) ، حتى قال أحد الأساقفة: هذا الكتاب المنحول على القديس برنابا يسميه أعداء الأديان بإنجيل ، وما هو بإنجيل ، فالإنجيل بشارة مفرحة ، بينما أن هذا الكتاب الشرير كصاحبه

الشرير ، رسالة كافرة أثيمة ضارة هو مجموعة متناقضات لا ترضـي المسلم الحق بقدر أنها لا ترضي المسيحي الحق. اهـ (انظر: رسالة الرد على الكتاب المسمى إنجيل برنابا لسامح كمال) .

هذه نبذة بسيطة عن موقف النصارى الأوائل والمتأخرين من هذا الإنجيل ، وأما بالنسبة للمسلمين لم يرد ذكر هذا (الإنجيل برنابا) في كتابات العلماء المحققين السابقين مثل الإمام ابن تيمية وابن القيم وابن حزم وغيرهم عليهم رحمة الله ، فهذا كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية ناقش النصارى في معتقداتهم وأتى على ذكر أناجيلهم ولم يورد ذكر إنجيل برنابا بتاتا ومثله تلميذه ابن القيم ، وكذلك ابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والنحل) لم يأتِ على ذكر (إنجيل برنابا) مع أن كتابه هذا عمدة في الأديان والفرق ومنها فرق النصارى المتعددة ، ما يدل على أنه بالفعل كان مخفيا طيلة هذه القرون ولم يشتهر أمره إلا في القرون المتأخرة ، ولو كان كما زعموا أنه من وضع بعض المسلمين لاشتهر أمره بين المسلمين خصوصا أهل العلم منهم المصنفين ممن ناقش معتقدات النصارى وما ورد في أناجيلهم المحرفة .

وأما أهل زماننا فقد تضاربت فيه آراء الباحثين وتشعبت بخصوصه مذاهب المؤرخين...". (نقلا عن مقدمة إنجيل برنابا).

وقد ذكره وأقره بعض المعاصرين في كتبهم وتفاسيرهم، مثل: سيد قطب في ظلال القرآن، والشيخ الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير، والدكتور محمد وصفي في كتابه:"المسيح والتثليث"، والدكتور عبد المجيد الزنداني في كتابه:" البشارات بمحمد ﷺ في الكتب السماوية السابقة"، والشيخ عطية صقر في فتواه بتاريخ ١٩٩٧م حيث يقول فيها:" جاء في كتاب "التثليث في المرآة" لكوثر نيازى ص ١٠٨ أن برنابا كان مصاحبا للمسيح عليه السلام مدة طويلة، وكتب عن معلومات توافق ما جاء في القرآن كثيرا ، وكان هذا الإنجيل يقرأ ويدرس إلى أواسط القرن الخامس الميلادي . وفى القرن الخامس حرَّم البطريق "جليسيوس" قراءته وأمر بإعدام ناسخه ، ثم عثر على نسخة منه في القرن السادس عشر الميلادي القسيس الكبير "فرامرينو" الذي وجده في مكتبة البطريق "سكنس " بطريق روما، فظهر له بعد مطالعته أن فيه أخبارا واضحة عن

خاتم الأنبياء وذكر اسمه " أحمد " فأخرج " فرامرنيو" هذا الإنجيل من مكتبة البابا وأعلن إسلامه ، ونقله إلى العربية "رشيد رضا" فى مصر ".

وذكره كذلك الشيخ القطان في تفسيره حيث يقول:"وقد جاء في الإنجيل الصحيح بشارةٌ بسيدنا محمد ﷺ في مواضع كثيرة، وكل ذلك أُخفيَ وحُرّف. كان عند النصارى عدد كبير من الأناجيل يربو على الخمسين ، لكنهم في مجمع نيقية (سنة ٣٢٥ م) اعتمدوا هذه الأربعة المتداولة الآن وحرقوا ما عداها. وقد وُجد إنجيل منسوبٌ إلى برنابا، تلميذِ المسيح، وتُرجم وطُبع مرات عدة ، وفيه البشارة واضحةٌ بالنبيّ في أماكن عدة. وهو قريب جداً من القرآن وتعاليمِه، لكن النصارى لا يعترفون به ويقولون إنه مزّيف"اهـ.

جاء في موسوعة ويكيبيديا الحرة: "إنجيل برنابا هو إنجيل لم يعترف به غالبية الأديان النصرانية كونه عدَ أن المسيح بشر برسول من بعده هو محمد ﷺ، وأن المسيح عيسى رسول من الله أرسل لبني إسرائيل بالتوحيد. كُتِب في القرن الخامس عشر عن طريق راهب كاثوليكي أرتد عن النصرانية. يرى النصرانيون والمسلمون أن إنجيل برنابا يتعارض تماماً مع المبادئ النصرانية، والدينية، والتاريخية فهو يعدُ أن يسوع وظيفته كانت كوظيفة يوحنا المعمدان (يحيى) الذي تنبأ بقدوم من هو أعظم منه من بعده: الرسول محمد ﷺ"انتهى.

وبعد كل ما سبق، أنتقل إلى ذكر بعض الفصول التي تبشر بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ومكانته العظيمة، وما ميزه به الله من خصائص:

البشـــارة ١:

جاء في إنجيل برنابا: "**سيأتي بعد بهاء كل الأنبياء الأطهار فيشرق نورا على ظلمات سائر ما قال الأنبياء، لأنه رسول الله**" [1].

فمن الذي أتى بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأشرق نوره على الأكوان، وكانت رسالته خاتمة لكل الرسائل السماوية وجامعة لها؟ أليس رسول الله محمد ﷺ!

وفي موضع آخر من إنجيل برنابا:"**ورسول الله الذي خلق الله روحه قبل كل شيء آخر بستين ألف سنة**"[٢].

إن أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد ﷺ، فلولا نوره ﷺ ما ظهر سر من أسرار الأرض، ولا تفجرت عين من العيون، ولا جرى نهر من الأنهار، ولولا نوره ﷺ ما ظهر تفاوت الناس في الجنة والنار، ولكان كلهم على مرتبة واحدة فيهما، ولولا نوره ﷺ لخرجت إليهم جهنم وأكلتهم أكلا.

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم

قال الشيخ محمود الألوسي أبو الفضل: "وكونه ﷺ رحمة للجميع باعتبار أنه عليه الصلاة والسلام واسطة الفيض الإلهي على الممكنات على حسب القوابل، ولذا كان نوره ﷺ أول المخلوقات" [٣] .

وروى الإمام عبد الرزاق في مسنده عن جابر الأنصاري ﷺ -في حديث طويل أقتبس منه- قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ فقال: ﴿يا جابر ، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جني ولا إنسي،... فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض فكان يضيء بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم، ثم خلق الله آدم من الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث ولده، وكان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن وصل إلى صلب عبد الله بن عبد المطلب ومنه إلى وجه أمي آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين، وخاتم النبيين، ورحمة للعالمين، وقائد الغر المحجلين، هكذا كان خلق نبيك يا جابر﴾[٤].

وهذا الحديث النبوي الشريف لا تعارضه الأحاديث الأخرى، التي ذُكر فيها أن القلم أول المخلوقات أو الماء، ففي المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني رحمه الله:"فيجمع بينه-أي الحديث

السابق- وبين ما قبله، بأن أولية القلم بالنسبة إلى ما عدا النور المحمدي والماء والعرش، وقيل الأولية في كل بالإضافة إلى جنسه، أي أول ما خلق الله من الأنوار نوري، وكذا في باقيها" (٥).

وهذا الحديث ذكره الحافظ أبو الحسين علي بن محمد بن القطان وهو من نقاد الحديث المعروفين بإتقانه للصنعة الحديثية، ومن أشد العلماء عناية واهتماما بالرواية والحفظ والإتقان.

البشارة ٢:

"جاء الأنبياء كلهم إلا رسول الله الذي سيأتي بعدي لأن الله يريد ذلك حتى أهيئ طريقه" (٦)، فالأنبياء كلهم أتوا ومضوا وجاء المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام برسالة الإنجيل ليبشر بالنبي ﷺ فهو آخر الأنبياء والرسل قبل النبي ﷺ، وجاء ليهيئ الطريق لقدوم الرسول ﷺ.

البشارة ٣:

"فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها **((لا إله إلا الله ومحمد رسول الله))**، ففتح حينئذ آدم فاه وقال: **(أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات ((محمد رسول الله))**، فأجاب الله: **(مرحبا بك يا عبدي آدم، وإني أقول لك إنك أول إنسان خلقت، وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء، الذي متى جاء سيعطى نورا للعالم، الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئا).**

فضرع آدم إلى الله قائلا: **(يا رب هبني هذه الكتابة على أظفار أصابع يدي)** فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه، على ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصه **((لا إله إلا الله))**، وعلى ظفر إبهام اليد اليسرى ما نصه **((محمد رسول الله))**، فقبّل الإنسان الأول بحنو أبوي هذه الكلمات، ومسح عينيه وقال: **(بورك ذلك اليوم الذي سيأتي فيه إلى العالم)** فلما رأى الله الإنسان وحده قال: **(ليس حسنا أن يكون وحده) فلذلك نوّمه، وأخذ ضلعا من جهة القلب، وملأ الموضع لحما، فخلق من تلك الضلع حواء، وجعلها امرأة لآدم، وأقام الزوجين سيدي الجنة، وقال لهما:**

(أنظروا إني أعطيكما كل ثمر لتأكلا منه خلا التفاح والحنطة) ثم قال: **(احذروا أن تأكلا شيئا من هذه الأثمار، لأنكما تصيران نجسين، فلا أسمح لكما بالبقاء هنا بل أطردكما ويحل بكما شقاء عظيم)"** [٧].

وهنا أذكر بعض الشواهد التي تثبت ما جاء في هذا الفصل في حق النبي ﷺ:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال: يا رب، لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا إله إلا الله محمد رسول الله فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي ادعني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك»[٨].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ أوحى اللهُ إلى عيسى عليه السلام:يا عيسى آمِن بمحمد وَأْمُر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقتُ آدم، ولولاه ما خلقتُ الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" فسكن﴾ [٩].

البشارة ٤:

"الحق أقول لكم أن كل نبي متى جاء فإنه إنما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله، ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذي أرسلوا إليه ، ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده، فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الأرض الذين يقبلون تعليمه، وسيأتي بقوة على الظالمين، ويبيد عبادة الأصنام بحيث يخزي الشيطان، لأنه هكذا وعد الله إبراهيم قائلا: (انظر فاني بنسلك أبارك كل قبائل الأرض وكما حطمت يا إبراهيم الأصنام تحطيما هكذا سيفعل نسلك) صدقوني لأني أقول لكم الحق أن العهد صنع بإسماعيل لا بإسحاق"[١٠].

وهذا الفصل صريح وواضح في نبوة النبي ﷺ، فهو الذي أرسله الله تعالى لكل الأمم وللبشرية جمعاء، قال الحق تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة سبأ: ٢٨)، ونسخ دينه كل الأديان: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ (سورة المائدة: ٣)، وقال الحق جل جلاله: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة آل عمران: ٨٥).

والنبي ﷺ هو المرسل رحمة للعالمين: قال الحق سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧)، وقال الله عز اسمه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾(سورة آل عمران: ١٥٩).

والنبي محمد ﷺ هو النبي المخلص للعالمين، وهو محطم الأصنام البشرية والحجرية، وأخرج الناس من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده: عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا﴾. ﴿جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾»[١١].

والعهد صنع بإسماعيل عليه السلام لا بإسحاق ﷺ، والنبي ﷺ من ذرية إسماعيل الذبيح عليه السلام.

البشارة ٥:

"لذلك أقول لكم إن رسول الله بهاء يسر كل ما صنع الله تقريبا، لأنه مزدان بروح الفهم والمشورة، روح الحكمة والقوة، روح الخوف والمحبة، روح التبصر والاعتدال، مزدان بروح المحبة والرحمة، روح العدل والتقوى، روح اللطف والصبر التي أخذ منها من الله ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائر خلقه، ما أسعد الزمن الذي سيأتي فيه إلى العالم، صدقوني أني رأيته وقدمت له الاحترام كما رآه كل نبي، لأن الله يعطيهم روحه نبوة، ولما رأيته امتلأت عزاءا قائلا: يا محمد ليكن الله معك وليجعلني أهلا أن أحل سير حذائك، لأني إذا نلت هذا صرت نبيا عظيما وقدوس الله، ولما قال يسوع هذا شكر الله"[١٢].

وكل هذه الصفات المحمدية قرأناها في كتب الشمائل والخصائص والسير...، والزمان الذي بعث فيه النبي ﷺ هو خير الأزمنة: عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «بعثت في خير قرون

بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت فيه﴾ [١٣]. وعن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿خير أمتي القرن الذين يلوني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم﴾ [١٤].

ورآه المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ليلة أسري به من بيت المقدس إلى رب العزة، فسلم عليه ورحب به ودعا له ، وقدم له كل الاحترام ، كما هو وارد في حادثة الإسراء والمعراج[١٥].

البشارة ٦:

"أما من خصوصي فإني قد أتيت لأهيئ الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص العالم، ولكن احذروا أن تغشوا لأنه سيأتي أنبياء كذبة كثيرون يأخذون كلامي وينجسون إنجيلي، حينئذ قال اندراوس: يا معلم اذكر لنا علامة لنعرف ، أجاب يسوع: إنه لا يأتي في زمنكم بل يأتي بعدكم بسنين عدة حينما يبطل إنجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنا، في ذلك الوقت يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء يعرفه أحد مختاري الله وهو سيظهره للعالم، وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار ويبيد عبادة الأصنام من العالم ، وإني أسر بذلك لأنه بوساطته سيعلن ويمجد الله ويظهر صدقي، وسينتقم من الذين سيقولون إني أكبر من إنسان، الحق أقول لكم أن القمر سيعطيه رقادا في صباه ومتى كبر هو أخذه كفيَّه، فليحذر العالم أن ينبذه لأنه سيفتك بعبدة الأصنام، فإن موسى عبد الله قتل أكثر من ذلك كثيرا ولم يبق يشوع على المدن التي أحرقوها وقتلوا الأطفال، لأن القرحة المزمنة يستعمل لها الكي، وسيجيء بحق أجلى من سائر الأنبياء وسيوبخ من لا يحسن السلوك في العالم ، وستحيِّي طربا أبراج مدينة آبائنا بعضها بعضا، فمتى شوهد سقوط عبادة الأصنام إلى الأرض واعترف بأني بشر كسائر البشر فالحق أقول لكم أن نبي الله حينئذ يأتي" [١٦].

وكل ما جاء في هذا الفصل تحقق، أُبطل إنجيله وأُنجس من بعده، وحُرِّف وشُوِّه، وكتب على حسب هوى الكهنة وأصحاب المصالح الشخصية ولم يبق منه إلا القليل، وانتشرت الظلمة من بعده، حتى عمت الأرض، فبزغ نور الحق نور سيدنا محمد ﷺ، الذي ظللته الغمامة، وبشر به

الكثير من الرهبان النصارى وغيرهم، وعرفه بَحِيرًا حين رآه، وورقة بن نوفل لما نزل عليه الوحي...

نور فليس له ظل يرى ولــــــه من الغمامة أنى ســــار تظليل

ولا يرى في الثرى أثر لأخمصه إذا مشى وله في الصخر توحيل[١٧]

وجاء بما لم تأت به الرسل من قبله، جاء برسالة القرآن الخالدة، وأتى بقوة على الكافرين، وحطم الأصنام، وقهر الطغاة والجبابرة، وأدب الأعراب، والروم وفارس، وارتفعت أبراج الحق في مكة، وسقط الباطل وانهار...

وأنزل الله عليه الوحي أكد صدق عيسى المسيح ﷺ، وأنه بشر، ومعجزة من معجزات الله تعالى، قال الله تعالى: **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾** (سورة النساء: ١٧١)، وقال عز من قائل: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة المائدة: ٧٥).

ولقد اعتقد اليهود أنهم صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه. واعتقد النصارى أن المسيح قد صلب وأنه الله أو ابن الله. واستمر هذا الاعتقاد حتى بعث النبي ﷺ وبين الحقيقة البلجاء، أن المسيح عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، وأنه لم يصلب ولم يقتل، بل رفع إلى السماء، ومجده ورفع عنه وعن أمه كل افتراءات اليهود وأباطيل النصارى وترهاتهم...

وهو ﷺ الذي أظهر كل الحقيقة عن الله وعن وحدانيته ورسله وكتبه ودينه، وصحح كثيراً من الافتراءات والأكاذيب والمعتقدات الضالة، ووبخ النصارى على اعتقادهم في الثالوث، وادعائهم أن المسيح هو ابن الله، وكشف مفتريات اليهود والنصارى ضد أنبياء الله ورسله عليهم السلام، ورد كل ما ألصقه اليهود من الدنس والعيب بأنبيائهم...

البشارة ٧ :

"أيها الإخوة إن سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى أني أقول لكم الحق أنه لا يعلمه جليا إلا إنسان واحد فقط، وهو الذي تتطلع إليه الأمم الذي تتجلى له أسرار الله تجليا فطوبى للذين سيصيخون السمع إلى كلامه متى جاء إلى العالم، لأن الله سيظللهم كما تظللنا هذه النخلة، بلى إنه كما تقينا هذه الشجرة حرارة الشمس المتلظية هكذا تقي رحمة الله المؤمنين بذلك الاسم من الشيطان، أجاب التلاميذ: يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم ؟، أجاب يسوع بابتهاج قلب: إنه محمد رسول الله، ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها،كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمرا بعد انقطاع المطر زمنا طويلا، فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله وهو رحمة ينثرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث"(١٨).

فقوله:" **أقول لكم الحق أنه لا يعلمه جليا إلا إنسان واحد فقط، وهو الذي تتطلع إليه الأمم الذي تتجلى له أسرار الله تجليا**" أي أن أسرار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء وغيرهم كلها مأخوذة من سر سيدنا محمد ﷺ، ففيه ﷺ اجتمعت الأنوار والأسرار، وفيه ارتقت الحقائق، أي أسرار الحق تعالى التي فرقها في خلقه، فهو ﷺ بمنزلة السماء والحقائق بمنزلة النجوم.

وكل شيء إلا وهو به منوط استمدادا واستنادا، فإن الكل مستمد منه ومستند عليه في الحقيقة. فهو سر الله الجامع الذي حمل من أسرار وجمع منها ما لم يجمعه غيره، فهو جامع لكل ما تفرق من الكمالات والبركات والعلوم والمعجزات.

وقوله:"**تتطلع إليه الأمم**": أي تنتظر الشعوب والأمم بزوغ فجره، وشروق شمسه، وإشراق نوره، فهو أملها، ومنقذها ومخرجها من الظلمات إلى النور، وإليه تشرئب أعناقها، وكل من آمن به وأحبه فهو في ظل عرش الرحمن يوم القيامة.

وقوله: "...إنه محمد رسول الله، ومتى جاء إلى العالم فسيكون ذريعة للأعمال الصالحة بين البشر بالرحمة الغزيرة التي يأتي بها،كما يجعل المطر الأرض تعطي ثمرا بعد انقطاع المطر زمنا طويلا...": يشهد له قوله عز وجل في رسول الله ﷺ: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧). وقوله تقدست كلماته: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٧)﴾ (سورة الأحزاب). فهو الداعي إلى الله بإذنه، والدال على الخير والصلاح والفلاح، يأمر الناس بالعمل الصالح، ويعلمهم أحكام الدين، ويحضهم على القيام بحقوق الله تعالى، ويحذرهم من مغبة مخالفة أمره.

وهو ﷺ الغيث السَّكوب، ببعثته ذهب القحط والبدد، واخضرت الربى، وأنزلت السماء من خيرها والأرض من بركاتها، قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (سورة الشورى: ٢٨).

أما قوله:**"فهو غمامة بيضاء ملأى برحمة الله وهو رحمة ينثرها الله رذاذا على المؤمنين كالغيث"**: فهو ﷺ الخير كله، والفضل كله، وهو النعمة العظمى والمنحة الإلهية لهذه الأمة، والغيث والرحمة: قال الله عز اسمه:﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٧)، وعن أبي هريرةؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة»(١٩).

البشارة ٨:

"هو شمس الجنة ورسولي هو القمر الذي يستمد مني كل شيء، والنجوم أنبيائي الذين قد بشروكم بشيء، فكما أخذ المؤمنون بي كلمتي من أنبيائي (هنا) سينالون كذلك مسرة وحبورا بواسطتهم في جنة مسراتي؟"(٢٠).

ولم أجد شرحا لهذه الفقرة أفضل مما قاله الإمام البوصيري -رحمه الله- في البردة:

فإنّهُ شمسُ فَضْلٍ هُم كواكِبُهَا يُظهِرْنَ أنوارَهَا للنّاسِ في الظّلَـمِ
فاقَ النَّبيينَ في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ ولم يُدَانُوهُ في عِلمٍ ولا كَـــــرَمِ
وكُلّهُم مِن رسولِ اللهِ مُلتَمِسٌ غَرْفًا مِنَ البحرِ أو رَشفَاً مِنَ الدِّيَمِ

الهوامــــش

(١) إنجيل برنابا، ترجمه من الانجليزية الدكتور خليل سعادة، ونشره السيد محمد رشيد رضا منشئ مجلة المنار، كتابة وإعداد وتنسيق: أحمد جبر عبد ربه، الفصل: ١٧.

(٢) الفصل: ٣٥.

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٠٥/١٧.

(٤) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد القسطلاني، تحقيق: صالح أحمد الشامي،المكتب الإسلامي:بيروت-دمشق-عمان، ط٢/ ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ٧١/١-٧٢.

(٥) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ٧٤/١.

(٦) الفصل: ٣٦.

(٧) الفصل: ٣٩.

(٨) المستدرك للحاكم: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين،ح٤٢٢٨، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

(٩) المستدرك للحاكم: كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين،ح٤٢٢٧، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد.

(١٠) الفصل: ٤٣.

(١١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل الإسراء، ح٤٤٤٣.

(١٢) الفصل: ٤٤.

(١٣) مسند أحمد بن حنبل، ٤١٩/٢. قال شعيب الأرنؤوط : إسناده جيد.

(١٤) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، ح٢٥٣٣.

(١٥) انظر مثلا: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول ﷺ، ح١٦٢.

(١٦) الفصل: ٧٢.

(١٧) ديوان البوصيري، ص١٩٨.

(١٨) الفصل: ١٦٣.

(١٩) المستدرك على الصحيحين للحاكم، كتاب الإيمان ح١٠٠.

(٢٠) الفصل: ١٧٧.